الخاتمية في ايران قد انتهت

د.حسن هاشميان

يوم 23 من مايو 1997 كان يوماً عظيماً في تاريخ ايران السياسي حين اختار الشعب الايراني سيد محمدخاتمي رئيساً للبلاد. هو هذا كان شخص متميز بعيون الشعب و كان الرجل المفضل عند غالبية الناخبين بمقارنته مع منافسه اليميني و المحافظ « علي اكبر ناطق نوري ». في ذلك الوقت طرح خاتمي علي الشعب الايراني برنامج يحتوي علي طموحات و آمال الناس في خروج من الانسداد السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي السائد آنذاك و التحرك الي حياة افضل . كان خاتمي يهتف و يوعد الجمهور بمجتمع مدني و حرية نشاط الاحزاب السياسية و حرية الصحافة و حرية التنقل الي خارج البلاد و فتح صفحة جديدة في العلاقات الاقليمية و الدولية. كل هذه المواضيع كان يعاني منها الشعب الايراني و كان يبحث الي التخلص و الانفراج. بعد ذلك الوقت و بعد فوات ست سنوات علي حكم الرئيس خاتمي ، في الوقت الراهن يقطع الشك باليقين المتابع للشأن الايراني ان الرئيس خاتمي خسر في تنفيذ ما عاهد الشعب عليه و ابتعد تدريجياً عن مطالبات الجمهور و اصبح « صفر علي الشمال » في منظمة الحكم كما يقول بعض المراقبين في ايران.

منذ بداية ملحمة « الثاني من خورداد » في 23 من مايو 1997 حتي الان ، التيار المحافظ و ازلامه بات يخطط لسد مجاري عمل الاصلاحيين و في رأسهم محمد خاتمي. في السنة الاولي من حكم الرئيس الاصلاحي بدأت المناورات العسكرية من جانب المحافظين لعسكرة الامور و القبض علي الاجواء الانفتاحية و المتفاءلة في وجوه الناس ، متخذة خطر توسيع عمل « طالبان » في افغانستان ذريعة لها. و في السنة الثانية بدأت سلسلة اغتيال السياسيين و نشطاء الصحافة و الاعلام ، المعروفة ب ـ « مسلسل الاغتيالات » في ايران التي باتت غامضة حتي الان و لم يكشف احد عن اسرارها رغم اعلان خاتمي رسمياً عن ضلوع بعض رجال الامن فيها و اعتقال العقل المدبر لها « سعيد امامي » و انتحاره المشبوه في فترة قصيرة بعد ذلك. منذ ست سنوات الي اليوم كان الصراع بين المحافظين و الاصلاحيين مستمرا و في اكثر الحالات كان التنازل يتبادر من جانب خاتمي علي حساب الايرانيين الذين اصبحوا اليوم يائسين من رئيسهم المقلوب علي امره في معادلة ماكان يشعر في صعوبتها.

و في يوم الجمعة الماضية الموافق 23 من مايو 2003 و هو يصادف « الثاني من خورداد » يوم انتخاب الرئيس و بدء مرحلة جديدة في ايران ، مر خاتمي علي هذا اليوم مر الكرام و كأنه لا وجود له في الذاكرة . كان في السابق يلقي الرئيس كلمة الي الطلاب أو الشعب في مثل هذا اليوم و كان يحضر في الاحتفالات لنفس المناسبة . اما خاتمي في هذا العام و كأنه يعرف واقعه السياسي المرير بعد ان واجه رفض آخر في الآونة الاخيرة من جانب مجلس صيانة الدستور الايراني الذي يسيطر عليه المحافظين لمشروعيين قدمهما خاتمي لاصلاح الوضع في ايران و بعد فترة طويلة من المعارك الخاسرة و ابقاءه في المخاض لاينتهي الي تحسين الامر ، قد افر بإنتهاء الخاتمية في ايران بعبوره الهادء من عليها و الصمت الجماهيري القاتل لها.

و لكن انتهاء الخاتمية لاتعني تخلي الشعب عن مطالبه و قبول الاستسلام لصالح المحافظين. كان خاتمي يسعي الي الاصلاح و الان الشعب بات يطالب بالتغيير، الشيء الاكثر خطورة من الاصلاح بتعبير المحافظين و بعض العقلاء منهم الذين قد ادركوا في السابق ان الخاتمية هي الفرصة الوحيدة و الاخيرة لهم للبقاء تحت عنوان «

الجمهورية الاسلامية الايرانية ». من هذا المنطلق انبثقت تيارات جديدة و عادت السابقات منها من التيارات علي الساحة السياسية في ايران في الوقت الراهن لتقرب من طموحات الشعب الايراني و لقيادته بشكل افضل. و اليكم هذه التيارات:

1) المطالبين بقيام نظام جمهوري ديموقراطي يتم فيه انفصال الدين عن الدولة و ضمان كل الحريات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لأبناء الشعب الايراني. انبثق هذا التيار مؤخراً و يشمل كل المثقفين و السياسيين الايرانيين في الخارج عدا انصار و موالي الملكية و منظمة مجاهدي خلق. لفي هذا التيار ترحيباً حارا بين اوساط المثقفين الايرانيين في الداخل و فاموا بنشر افكاره و تطلعاته علي مدار واسع في الجامعات و دوائر الصحف و مراكز الاعلام المستقل عن الحكومة.

2) الاصلاحيين الداخل الذين انفسخوا عن الخاتمية المتواطئة مع المحافظين. يشمل هذا التيار احزاب معروفة كحركة حرية ايران و حزب المشاركة و منظمة مجاهدي الثورة الاسلامية. تم الائتلاف بين هذه الاحزاب مؤخراً بعد ما اصدروا بيان مشترك يحث الحكومة و تيارها المتشدّد علي ادراك خطورة الوضع الحالي المبيت تحت الحراب الامريكي و ابعادها عن وضع العراقيل امام مسيرة الاصلاح و تطلعات الشعب الايراني. يسعي هذا التيار الي قيام انتخابات حرة لحسم مصير اهم مراكز القوة في ايران مثل مجلس صيانة الدستور و نظام القضاة و ولاية الفقيه المطلقة ، واثق بأن الشعب الايراني لايصوت لصالح ابقاء هذه المراكز في قبضة المحافظين . الاصلاحيين الداخل عملوا سابقاً علي ارضاء المحافظين و موالي ولاية الفقيه المطلقة لانضمامهم في المسيرة الاصلاحية و لكن كل مواعظهم هذه ضربت عرض الحائط بيد هولاء الناس الذين يعتبرون الاصلاح خدعة لنزعهم من السلطة. و من جهة ثانية الاصلاحيين الجدد لايرفضون الخاتمية بشكل شمولي و لكن هزيمتهم الاخيرة في انتخابات مجالس البلدية اجبرتم علي إيراد تعديلات في مفاهيم الاصلاح و كيفية المعاملة مع المحافظين الموضوع الذي تكمن في الرسالة التي اوصلت لهم من عدم مشاركة الناخبيين الايرانيين في هذه الانتخابات.

3)الحركة الملكية . برزت الحركة الملكية كتيار سياسي ينشد حلا للازمة الايرانية ، و يترأسها رضا بلوي النجل الاكبر لشاه ايران السابق محمد رضا بلوي و يعتقد العديدون من المراقبين الشأن الايراني ان الحركة الملكية ليست تعبيراً عن ارادة داخلية في ايران و لاتحظي بأي اهتمام من قبل المثقفين الايرانيين و الاحزاب السياسية التقدمية و هي تعمل باتجاه الحصول علي مشاعر بسطاء من الناس الذين يتطلعون الي حياة مرفه كانت مهيئي لهم في زمان السلطنة علي حد تعبيرهم. الملكية من منظار الاصلاحيين قد دفنت في ظهور الثورة الايرانية في اواخر عقد السبعينات و لكن الاساليب المتحجرة و السياسات الخاطئة طوال العقدين الماضين من عمر الثورة الايرانية فتحت لها الفرصة كي تطرح نفسها مرة اخرة علي الساحة الايرانية. الملكية و رئيسها اذ يسمح لنا ان نسميه رئيس ، تعتبر من ذيول الادارة الامريكية و لا توجد لها اي ارادة مستقلة، تشرب كل مياهها من زمازم البيت البيضاوي و دون الولايات المتحدة لا يمكن ان نرسم لها وجود علي خارطة ايران السياسية.

4)منظمة مجاهدي خلق. هذه المنظمة تختلف اختلاف واسع النطاق عن بافي التيارات السياسية في ايران و لها ايديولوجيتها الخاصة تنفرد بـا. عملت هذه المنظمة قريب من عشرين عاما تحت مظلة النظام العراقي السابق تبئ نفسها لهجوم عسكري علي النظام الايراني و لكن في الوقت الراهن باتت اوضاعها محرجة بعد سقوط

صدام حسين في العراق . من الواضح ان الهيمنة الامريكية في العراق لا تسمح الحربة الكاملة لهذه المنظمة و حتي الان بات مصيرها مجهول بتعبير عامة المحللين الشأن الايراني.

في النهاية يمكن القول ان المطالبين بالجمهورية الديموقراطية و الاصلاحيين الداخل سوف يقتربون لبعضهم بعض و من زاوية اخري يمكن نصور الوضع بأن الملكية و مجاهدي خلق علي رغم اختلافهم الايديولوجي، لهم اهداف و مصالح مشتركة في اسقاط النظام الايراني الحالي و لامحالة ان الادارة الامريكية تقوم بتنسيق عملهم المشترك، و لكن من اليقين ان الخاتمية فد انقضت عهدها و لايمكن لها ارجاع رفعتها و فوتا الكاريزماتية التي كانت تتمتع فيها من 23 مايو 1997 الي وفت لاحق اختارت اصعب الطرق فيه لنيل اهدافها و هو طريق التواطأ مع المحافظين الذين لايعرفوا التسامح لطرف الآخر.